

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

أ. محفوظ سالمى

جامعة تلمسان

يعتبر موضوع المحكم والمتشابه من الموضوعات التي دار حولها خلاف كبير بين العلماء. فلقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن القرآن كله محكم، كما ورد ما يدل على أن القرآن كله متشابه، وورد أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَ الْأَلْبَابِ﴾⁽¹⁾.

وتعتبر هذه الآية أساس دراسة المحكم والمتشابه. وقد اشتد الخلاف حول معنى المتشابه وبالتالي أصبح الخلاف حول تحديد النصوص القرآنية المتشابهة والمحكمة. ومن أبرز أمثلة الخلاف حول النصوص المتشابهة آيات الصفات الخبرية، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَسْدَاهُ مِيسُوطَانٌ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾⁽²⁾. وقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾⁽³⁾، وغيرها.

1- سورة آل عمران: 7

2- سورة المائدة: 64

3- سورة طه: 5

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالم

فقد ذهب فريق من العلماء إلى أن هذه الآيات من المحكم الواضح الدلالة الذي لا يحتاج إلى بيان، بينما ذهب فريق إلى أنها من المتشابه الغامض في دلالاته على معناه فلا يدرك إلا برده إلى المحكم وأسموها بمتشابه الصفات وكادوا يخصصونها باسم المتشابه.

فما معنى المحكم والمتشابه لغة واصطلاحاً، وما هي النصوص المحكمة والمتشابهة، وما هي أقسام المتشابه، وهل المتشابه مما يمكن علمه، وما الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم؟.

هذا ما يحاول هذا البحث الإجابة عنه باختصار في المباحث القادمة.

المبحث الأول: المعنى اللغوي للمحكم والمتشابه

أ - المعنى اللغوي المحكم: تستمد كلمة المحكم معناها اللغوي من قولهم: «والعرب تقول: حكمت وأحكمت، وحكمت بمعنى منعت ورددت، ومن هذا قيل للحاكم بين الناس حاكم لأنه يمنع الظالم من الظلم»..و«أحكمت الشيء فاستحكم: صار محكماً، واحتكم الأمر واستحكم وثق»... «وحكم الشيء وأحكمه كلاهما منعه من الفساد»⁽¹⁾. وسميت الحكمة حكمة بناء على أنها تمنع صاحبها عما لا ينبغي بإصابته الحق، وباهتدائه لوجه الصواب، وبمعرفة ما يوافق هذا، وما يليق بذلك، قال ابن القيم: «الحكمة هي وضع الشيء في موضعه اللائق به»⁽²⁾. وما سميت حكمة اللحام - حديدته - بذلك إلا لكونها تمنع الفرس وترده من الاضطراب. ومنه قول جرير: «أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم، إني أخاف عليكم أن أغضباً» أي ردوهم وكفوهم وامنعوهم من

1 - لسان العرب لابن منظور مادة حكم.

2 - التفسير القيم لابن القيم الجوزية، جمعه محمد ويس الندوي، وحققه محمد حامد الفقي هامش ص 344 مطبعة السنة المحمدية 1368هـ.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم..... أ. محفوظ سالم

التعرض لي، وحكمت السفيه وأحكمته إذا أخذت على يده»⁽¹⁾.
والخلاصة أن مشتقات حكم تشترك في معنى واحد، وهو المنع حسياً، أو معنوياً عما لا يليق، ولتقوم ما اعوج ولإصلاح ما فسد.

ب - المعنى اللغوي للمتشابه: إن التشابه مأخوذ لغة من الشبه بمعنى الماثلة. جاء في تاج العروس: «(وشابهه وأشبهه ماثله) ومنه من أشبه أباه فما ظلم... (وتشابهها واشتبها أشبه كل منهما الآخر حتى التباس) ومنه قوله تعالى: ﴿مشتبهها وغير متشابهة﴾⁽²⁾ (وشبهه إياه وبه تشبيها مثله وأمور مشتبهة ومشبهة كمعظمة) أي (مشكلة) ملتبسة يشبه بعضها بعضاً... (والشبهة بالضم الالتباس) وأيضاً (المثل) تقول إني لفي شبهة منه (وشبهه عليه الأمر تشبيهاً لبس عليه) وخلط»⁽³⁾.

وقال ابن قتيبة: «وأصل "التشابه": أن يشبه اللفظ في الظاهر، والمعنيان مختلفان. قال الله جل وعز في وصف ثمر أهل الجنة: ﴿وأوتوا به متشابهاً﴾⁽⁴⁾ أي متفق المناظر، مختلف الطعوم.

وقال: «تشابهت قلوبهم»⁽⁵⁾ أي يشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة، ومنه يقال: اشتبه على الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكذ تفرق بينهما، وشبهت علي: إذا لبست الحق بالباطل، ومنه قيل لأصحاب المخاريق أصحاب الشبه، لأنهم يشبهون الباطل بالحق. ثم يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، ألا ترى أنه قد قيل للحروف المقطعة في أوائل السور: متشابه، وليس الشك فيها،

1 - لسان العرب مادة حكم.

2 - سورة الأنعام: 99.

3 - تاج العروس مادة شبه.

4 - سورة البقرة: 25.

5 - سورة البقرة: 118.

والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها، والتباسها بها»⁽¹⁾.

وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلِينَا﴾⁽²⁾. بمعنى التباس لا اشتباه بعضها بعضا. وتبين من هذا: أن التشابه باعتبار الماثلة يولد التباسا سببه صعوبة التمييز، وعدم التفريق بين المتشابهين.

ج - المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

لقد ورد في أي التزيل ما يفيد أن القرآن كله محكم كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾⁽³⁾ وفي قوله: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمُ آيَاتِهِ﴾⁽⁴⁾.

كما ورد ما يفيد أن القرآن كله متشابه، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾⁽⁵⁾

كما ورد ما يفيد أن بعضه محكم وبعضه متشابه كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾⁽⁶⁾.
ولبيان أن تلك الأوصاف تنطبق على القرآن من غير أن يكون هناك تعارض ولا تناقض، وجب معرفة المقصود من المحكم والمتشابه حسب مقتضيات مقاماتها، وفحوى سياقاتها.

- معنى أن القرآن كله محكم: لقد فسر الإحكام في قوله تعالى: ﴿أَحْكَمُ آيَاتِهِ﴾ وفي غيره بعدة أوجه نشير إلى أهمها:

جاء عن الإمام الرازي قوله: «والمراد من المحكم بهذا المعنى: كونه حقا في

1 - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ص 74.

2 - سورة البقرة: 70.

3 - سورة يونس: 1.

4 - سورة هود: 1.

5 - سورة الزمر: 23.

6 - سورة آل عمران: 7.

ألفاظه، وكونه حقا في معانيه، وكل كلام سوى القرآن، فالقرآن أفضل منه في لفظه ومعناه، وأن أحدا من الخلق لا يقدر على الإتيان بكلام يساوي القرآن في لفظه ومعناه، والعرب تقول في البناء الوثيق، والعهد الوثيق، الذي لا يمكن حله: إنه محكم، فهذا معنى وصف كل القرآن بأنه محكم»⁽¹⁾.

وقال القرطبي: «فإن قوله تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته﴾ أي في النظم والرصف وأنه حق من عند الله»⁽²⁾.

- معنى أن القرآن كله متشابه:

لقد فسر التشابه الذي وصف القرآن به في قوله تعالى: ﴿كتابا متشابها﴾⁽³⁾ بما جاء عن الرازي كذلك بقوله: «والمعنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحسن والفصاحة، ويصدق بعضه بعضا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾»⁽⁴⁾ أي لكان بعضه واردا على نقيض الآخر، ولتفاوت نسق الكلام في الجزالة والفصاحة»⁽⁵⁾.

- معنى أن القرآن بعضه محكم وبعضه متشابه:

كما جاء في قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾⁽⁶⁾. أما ما يؤخذ من آية آل عمران من أن بعضه محكم، وبعضه متشابه فيقتضي لزوما أن ما يوصف بالإحكام، لا يوصف بالتشابه وأن ما يوصف بالتشابه

1- أسس التقديس للرازي، تحقيق أحمد حجازي السقا، القاهرة طبعة مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة 1406هـ-ص 230

2 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي بتصحيح أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، الطبعة الثالثة؛ دار الكتب المصرية. دار الكتاب العربي 1378هـ - 1967م. ج 4 ص 10.

3 - سورة الزمر : 23.

4 - سورة النساء : 82.

5 - أسس التقديس ص 230.

6 - سورة آل عمران: 7.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم..... أ. محفوظ سالم

لا يوصف بالإحكام، فالمحكمات هن الواضحة الدلالة، والمتشابهات هي الخفية الدلالة، وهذا هو المقصود من دراسة المحكم والمتشابه.

وقد ذكر الإمام القرطبي معنى المحكم والمتشابه في آية آل عمران بعد ما بين معنى كون القرآن كله محكما ومعنى كونه كله متشابها قال في تفسيره: «وليس المراد بقوله "آيات محكمات" "وأخر متشابهات" هذا المعنى، وإنما المتشابه في هذه الآية من باب الاحتمال والاشتباه، من قوله «إن البقر تشابه علينا»⁽¹⁾ أي التباس علينا، أي يحتمل أنواعا كثيرة من البقر، والمراد بالمحكم ما في مقابله هذا، وهو ما لا التباس فيه ولا يحتمل إلا وجهها واحدا، وقيل إن المتشابه ما يحتمل وجوها، ثم إذا ردت الوجوه إلى وجه واحد وأبطل الباقي صار المتشابه محكما، فالمحكم أبدا أصل ترد إليه الفروع، والمتشابه هو الفرع... وقال محمد بن جعفر بن الزبير: المحكمات هي التي فيها حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل، ليس لها تصريح ولا تحريف عما وضعن عليه، والمتشابهات لهن تصريح وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، وقاله مجاهد وابن إسحاق، قال ابن عطية: وهذا أحسن الأقوال في هذه الآية، قال النحاس: أحسن ما قيل في المحكمات والمتشابهات، أن المحكمات ما كان قائما بنفسه لا يحتاج أن يرجع فيه إلى غيره، نحو: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾⁽²⁾ و﴿إِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾⁽³⁾، والمتشابهات نحو: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا﴾⁽⁴⁾ يرجع فيه إلى قوله جل وعلا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ وإلى قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾⁽⁵⁾ «⁽⁶⁾».

1 - سورة البقرة : 70.

2 - سورة الإخلاص : 4.

3 - سورة طه : 82.

4 - سورة الزمر : 53.

5 - سورة النساء : 48.

6 - الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 10-11.

المبحث الثاني: المعنى الاصطلاحي للمحكم والمتشابه والخلاف في تعيينهما

1- المعنى الاصطلاحي للمحكم والمتشابه

اختلف العلماء في المحكم والمتشابه على أقوال عديدة، وقد ذكر الإمام السيوطي جملة من أقوال السلف في المحكم والمتشابه، نورد بعضها فيما يلي :

قيل: المحكم ما عرف المراد منه، إما بالظهور وإما بالتأويل، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور⁽¹⁾.

وقيل: المحكم ما وضع معناه، والمتشابه نقيضه.

وقيل: المحكم ما لا يحتمل التأويل إلا وجهها واحدا، والمتشابه ما احتمل أوجهها.

وقيل: المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوات، واختصاص الصيام برمضان دون شعبان، قاله الماوردي.

وقيل: المحكم ما استقل بنفسه، والمتشابه ما لا يستقل بنفسه إلا برده إلى غيره.

وقيل: المحكم ما تأويله تنزيه، والمتشابه ما لا يدرى إلا بالتأويل.

وقيل: المحكم الفرائض والوعد والوعيد والمتشابه القصص والأمثال.

أخرج ابن أبي حاتم، من طريق علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: المحكمات ناسخه وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه، وما يؤمن به ويعمل به، والمتشابهات منسوخه، ومقدمه، ومؤخره، وأمثاله، وأقسامه، وما يؤمن به ولا يعمل به.

وأخرج الفريابي عن مجاهد، قال: المحكمات ما فيه الحلال والحرام، وما سوى ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضا.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿منه آيات محكمات﴾ قال: من هاهنا ﴿قل تعالوا﴾⁽²⁾ إلى ثلاث آيات. ومن هاهنا ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا

1 - وقال القرطبي: «هنا أحسن ما قيل في المتشابه» الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 10.

2 - سورة الأنعام: 151.

إلا إياه»⁽¹⁾ إلى ثلاث آيات بعدها، قال ابن عطية: «وهذا عندي مثال أعطاه في المحكمات»⁽²⁾، وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل بن حيان قال: المتشابهات فيما بلغنا «الم»، و«المص»، و«المر»، و«الر»⁽³⁾.

كما اختلف أصحاب المذاهب في تحديد معنى المحكم والمتشابه.

فقد ذكر القاضي عبد الجبار - وهو يمثل الاتجاه الاعتزالي - أن المحكم: ما أحكم المراد بظاهره، والمتشابه ما لم يحكم المراد بظاهره، بل يحتاج في ذلك إلى قرينة، والقرينة إما عقلية، أو سمعية، والسمعية إما أن تكون في هذه الآية، في أولها أو في آخرها، أو في آية أخرى من هذه السورة أو غيرها أو في سنة أو في إجماع، فهذه القرينة التي تعرف بها المراد بالمتشابه وتحمله على المحكم⁽⁴⁾

ويذهب الإمام الرازي - وهو ممن يمثلون الاتجاه الأشعري في العقيدة - إلى أن المحكم ما كان واضح الدلالة على معناه سواء كان اللفظ لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهو النص، أو ما احتمل أكثر من معنى، ولكن معناه الظاهر هو الراجح. وأن المتشابه ما كان خفي الدلالة على المعنى المراد، لاحتمال أكثر من معنى، ومعناه الظاهر لا يصح، حينئذ يجب ترك ذلك المعنى الظاهر ورد المتشابه إلى المحكم، ويكون ذلك بتأويل إن أجزنا التأويل، أو بتفويض معناه إلى الله تعالى إن منعنا التأويل⁽⁵⁾.

1 - سورة الإسراء: 23.

2 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 4 ص 10.

3 - الإتيان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975 م. المجلد الثاني ج 3 ص 3-5.

4 - انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمداني تحقيق عبد الكريم عثمان. الطبعة الأولى، القاهرة مكتبة وهبه. 1384هـ - ص 600 - 601.

5 - انظر أساس التقديس للرازي ص 232-234-235.

والأشاعة يرون أن المحكم ما عرف المراد منه إما بالظهور، وإما بالتأويل، وأما المتشابه، فهو ما استأثر الله تعالى بعلمه، كقيام الساعة، وخروج الدجال، والحروف المقطعة في أوائل السور.

قال البغدادى في أصول الدين: «ذهب الحارث المحاسبي وعبد الله بن سعيد، وأبو العباس القلانسي إلى أن المتشابه هو الذي لا يعلم تأويله إلا الله، وقالوا منها حروف الهجاء في أوائل السور. وهذا قول مالك والشافعي وأكثر الأمة»⁽¹⁾. وهو قول جابر بن عبد الله، وهو مقتضى قول الشعبي وسفيان الثوري وغيرهما، كما ذكره القرطبي في تفسيره⁽²⁾.

ويذهب ابن تيمية في هذا الموضوع إلى أن المحكم: ينقسم إلى ثلاثة أقسام يقابل كل واحد منها نوع من المتشابه يقول في الإكليل: «وجماع ذلك أن الأحكام تارة يكون في الترتيل فيكون في مقابلته ما يلقيه الشيطان، فالمحكم المنزل من عند الله أحكمه الله أي فصله من الاشتباه بغيره، وفصل منه ما ليس منه... وتارة يكون في إبقاء الترتيل عند من قابله بالنسخ الذي هو رفع ما شرع وهو اصطلاحى... وعلى هذا التقدير فيصح أن يقال: المتشابه المنسوخ بهذا الاعتبار والله أعلم. وتارة يكون الأحكام في التأويل والمعنى، وهو تمييز الحقيقة المقصودة من غيرها، حتى لا تشبه بغيرها. وفي مقابلة المحكمات الآيات المتشابهات التي تشبه هذا وتشبه هذا فتكون محتملة المعنيين...»⁽³⁾.

1 - أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادى، ط3، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية 1406هـ، ص 222.

2 - الجامع لأحكام القرآن ج 4 ص 9.

3 - الإكليل في المتشابه والتأويل لابن تيمية تحقيق قصي محب الدين الخطيب طبعة 1 الدار السلفية 1394هـ ص 6-7.

2 - أقسام التشابه

وقد قسم الراغب الأصفهاني التشابه في كتاب الله إلى ثلاثة أنواع قال: «فالتشابه في الجملة ثلاثة أضرب: متشابه من جهة اللفظ فقط، ومن جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما... (ثم ذكر لكل نوع تفاريع مع الأمثلة) ثم قال: وهذه الجملة إذا تصورت علم أن كل ما ذكره المفسرون في تفسير التشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم... ثم جميع التشابه على ثلاثة أضرب: ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض وكيفية الدابة ونحو ذلك، وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته، كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلقة، وضرب متردد بين الأمرين، يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونه، وهو الضرب المشار إليه بقوله عليه السلام في علي رضي الله عنه: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"⁽¹⁾ وقوله لابن عباس مثل ذلك»⁽²⁾. وهذا القسم الأخير يسمى بالتشابه الإضافي أو النسبي، لأن التشابه فيه يكون بالإضافة إلى بعض الناس دون بعض، وهو كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور متشابهات لا يعلمهن كثير من الناس»⁽³⁾.

إذا فالتشابه قد يكون أمراً نسبياً، بمعنى أن ما يشبهه على هذا قد لا يشبهه على غيره، وهذا النوع يختلف باختلاف درجات الناس وتقدمهم في العلم. وقد

1 - أخرجه أحمد في مسنده ج1 ص 266.

2 - المفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق وإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة مصطفى الباز. الطبعة الأولى. المملكة العربية السعودية مكتبة نزار مصطفى الباز 1418هـ - 1997م. كتاب الشين ج1 ص 335 - 336.

3 - متفق عليه رواه البخاري في كتاب الإيمان باب: فضل من استبرأ لدينه. ومسلم في كتاب المساقاة والمزارعة باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالم

يكون أمرا ذاتيا راجعا إلى الآية لدقة معناها ولخفاء الموضوع الذي تتحدث عنه، وذلك كأوائل السور المفتحة بحروف المعجم، وما المراد من ذكر هذه الحروف، وكحقيقة أخبار القيامة والبعث، فإنه يجب الاعتراف والتسليم بأن هذه وأمثالها أمور قد استأثر الله بعلم كنهها دون غيره⁽¹⁾.

3 - اختلاف العلماء في تعيين المحكم والمتشابه من النصوص⁽²⁾.

وبعد إلقاء نظرة فاحصة على ما لدينا من أقوال السلف حول تحديد المحكم والمتشابه، ومن تعاريف مختلفة عند أصحاب المذاهب، نستطيع أن نخرج بسمة عامة، وهي أن المحكم ما كانت دلالة على معناه ظاهرة واضحة، فإن الآيات المحكمات واضحة ظاهرة الدلالة، محكمة العبارة، محفوظة من الاحتمال والاشتباه. وأن المتشابه ما كانت دلالة على معناه خفية غامضة. ولكننا نجد العلماء - بعد هذا المبدأ العام الذي يكاد يكون اتفاقا بينهم - يختلفون عند التطبيق، فمن يرى آية معينة من المحكم الواضح يراها غيره من المتشابه الغامض.

قال الإمام فخر الدين الرازي في هذا الصدد: «اعلم أن هذا موضع عظيم وذلك لأن كل واحد من أصحاب المذهب يدعي أن الآيات الموافقة لمذهبه محكمة والآيات الموافقة لمذهب الخصم متشابهة»⁽³⁾.

فالنظرة المذهبية للنصوص كانت وراء الخلاف الشديد بين العلماء في تعيين المحكم والمتشابه، وهذا هو الذي أُلجأ الإمام الرازي إلى رسم قانون كلي يعرف به كون الآية محكمة أو متشابهة. ونذكره هنا ملخصا: فقد قال: «إذا كان لفظ الآية والخبر

1 - الإمام ابن تيمية وقضية التأويل لمحمد السيد الجليلند، ط3، جدة مكتبات عكاظ 1403هـ، ص58.

2 - انظر بحثا قيما للمحكم والمتشابه وآيات الصفات في تفسير المنار لرشيد رضا. الهيئة المصرية العامة

للكتاب 1973م ج3 ص 135 - 190.

3 - أساس التقديس ص 234 .

ظاهرا في معنى، فإنما يجوز لنا ترك ذلك الظاهر بدليل منفصل، وإلا لخرج الكلام عن أن يكون مفيدا، ولخرج القرآن عن أن يكون حجة، ثم ذلك الدليل المنفصل إما أن يكون لفظيا أو عقليا. فإذا وقع تعارض بين دليلين لفظيين فليس ترك أحدهما لإبقاء الآخر أولى من العكس، لأن الدلائل اللفظية لا تكون قطعية بل ظنية، فثبت أن صرف اللفظ عن ظاهره إلى معناه المرجوح لا يجوز إلا عند قيام الدليل القاطع على أن ظاهره محال ممتنع، وإذا حصل هذا المعنى فعند ذلك يجب على المكلف أن يقطع بأن مراد الله تعالى من هذا اللفظ ليس ما أشعر به ظاهره، ثم عند هذا المقام من جواز التأويل عدل إليه، ومن لم يجوز فوض علمه إلى الله تعالى»⁽¹⁾.

كما يجدر التنبيه إلى أنه قد تم إدخال الكثير مما ليس من المتشابه في المتشابه بسبب التعصب المذهبي أو غيره من الأسباب، لكن الأصل في المتشابه هو القلة لا الكثرة. وهذا ما قرره الإمام الشاطبي في الموافقات حين قال: «التشابه قد علم أنه واقع في الشرعيات، لكن النظر في مقدار الواقع منه: هل هو قليل ؟ أم كثير؟ والثابت من ذلك القلة لا الكثرة، لأمر نلخصها فيما يلي:

1 - إن الآية اعتبرت المحكمات هنّ أم الكتاب، وهو ما يدلّ على أنّها المعظم والجمهور، إذ أن أم الشيء معظمه وعامته.

2 - إن التشابه لو كان كثيرا لكان الالتباس، والإشكال كثيرا، وهذا لا ينسجم مع القول: بأن القرآن بيان وهدى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿هذا بيان للناس، وهدى وموعظة للمتقين﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾⁽³⁾، وهو ما يفيد أنه أنزله ليرفع الاختلاف الواقع

1 - أساس التفسير ص 234-235.

2 - آل عمران: 138.

3 - سورة النحل: 44 .

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالمى

بين الناس، في حين أن المشكل المتبس إنما هو إشكال وحيرة لا بيان وهدى، فدلّ على أنه ليس بكثير... ولولا أن الدليل أثبت فيه متشابهاً لم يصحّ القول به. 3 - أن المستقرئ والمجتهد إذا نظر في أدلة الشريعة يجدها قد جرت على قانون النظر، واتسعت أحكامها، وانتظمت أطرافها على وجه واحد، كقوله تعالى: ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾⁽¹⁾...»⁽²⁾.

وقد ردّ الشاطبي على القول: كيف يكون المتشابه قليلاً، وهو كثير على الوجه الذي فسر به، إذ أنه قد جعل فيه من المنسوخ والمحمل، والعام، والمطلق، والمؤول؟ بقوله: «فلا تشابه فيها بحسب الواقع إذ هي قد فسرت، فأى تشابه فيها وقد حصل ببيانها؟ والبرهان قائم على البيان»⁽³⁾.

وبعد ذكر اختلاف العلماء في تعيين المحكم والمتشابه من النصوص، نذكر مثالا على هذا الاختلاف ونبيّن الأقوال المتضاربة فيه، وهو آيات الصفات الخيرية مثل آيات الاستواء على العرش، والحيء والإتيان يوم القيامة، واليد والوجه والعين وغير ذلك.

المبحث الثالث: آيات الصفات هل هي من المتشابه؟

لقد وقع خلاف شديد حول مجموعة آيات الصفات الخيرية، أهى من المحكم الواضح الذي لا يحتاج إلى بيان، أم هي من المتشابه الغامض في دلالاته على معناه، فلا يدرك إلا برده إلى المحكم؟ نجد من العلماء من قال بهذا الرأي وذاك، وقد أسماها البعض بمتشابه الصفات وكادوا يخصصونها باسم المتشابه.

ونورد فيما يلي أقوال الفريقين مع الاستشهاد بما ورد عنهم في تصنيف آيات الصفات. لقد ذهب أصحاب اتجاه التأويل إلى أن هذه الآيات من المتشابه الذي يجب

1 - سورة هود: 1.

2 - الموافقات للشاطبي، بتعليق عبد الله دراز، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ج 3 ص 86 - 87.

3 - الموافقات للشاطبي ج 3 ص 87.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالمى

صرفه عن ظاهره، ورده إلى المحكم مثل قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾⁽¹⁾ الذي يقتضي التزيه الكامل لله تعالى عن أن يشابه أحدا من مخلوقاته. في حين ذهب من يرفضون التأويل -ومعظمهم من الحنابلة- إلى أن هذه الآيات ليست من المتشابه إذ ليس فيها أي غموض أو اشتباه، وإنما هي ظاهرة واضحة الدلالة على معناها، ولذلك فهي من المحكم الواضح الدلالة على معناه. لكن ليس كل من يرفض التأويل يذهب إلى أن هذه الآيات ليست من المتشابه، وإنما الكثير من السلف وغيرهم ممن رفضوا التأويل اعتبروا هذه الآيات من المتشابه، ثم فوضوا المعنى المراد منها إلى الله تعالى.

ونذكر فيما يلي بعض الأقوال التي تفيد أن آيات الصفات من المتشابه:

- جاء عن الإمام السيوطي قوله في هذا الموضوع: «من المتشابه آيات الصفات، ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد، نحو ﴿الرحمن على العرش استوى﴾⁽²⁾، ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾⁽³⁾، ﴿ويبقى وجه ربك﴾⁽⁴⁾، ﴿ولتصنع على عيني﴾⁽⁵⁾، ﴿يد الله فوق أيديهم﴾⁽⁶⁾، ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾⁽⁷⁾، وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفرسها مع تزيهنا له عن حقيقتها»⁽⁸⁾، ثم ذكر بعض أقوال السلف كأدلة على ما قرره في آيات الصفات.

1 - سورة الشورى: 11.

2 - سورة طه: 5.

3 - سورة القصص: 88.

4 - سورة الرحمن: 27.

5 - سورة طه: 39.

6 - سورة الفتح: 10.

7 - سورة الزمر: 67.

8 - الإتيان المجلد الثاني ج 3 ص 14.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالمى

- وقال الراغب في مفردات القرآن: «والمتشابه من جهة المعنى أو صاف الله تعالى وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصور لنا، إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نُحسّه، أو لم يكن من جنس ما نُحسّه»⁽¹⁾.

- وجاء عن الإمام الألوسي في تفسيره قوله: «ثم اعلم أن كثيرا من الناس جعل الصفات الثقيلة من الاستواء واليد والقدم والترول إلى السماء الدنيا والضحك والتعجب وأمثالها من المتشابه»⁽²⁾.

- وجاء عن الإمام الألوسي كذلك في موضع آخر قوله: «وقريب من هذا القول ما يصرح به كلام كثير من ساداتنا الصوفية فإنهم قالوا: إن هذه المتشابهات تجرى على ظاهرها مع القول بالترية الدال عليه قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾»⁽³⁾...⁽⁴⁾.

- وجاء في شرح جوهره التوحيد.

بعد ما ذكر تعريف المحكم والمتشابه وموقف السلف والخلف من المتشابه أورد بعض النصوص في آيات الصفات، قال: «ومن النصوص المتشابهة قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾»⁽⁵⁾، ومنها أيضا قوله تعالى: ﴿وهو القاهر فوق عبادة﴾»⁽⁶⁾ وقوله: ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾»⁽⁷⁾، ومنها قوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾»⁽⁸⁾، ومنها قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن

1 - المفردات في غريب القرآن كتاب الشين ج 1 ص 335.

2 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي المجلد 2 ج 3 ص 87 ط4. بيروت: دار إحياء التراث العربي 1405هـ.

3 - سورة الشورى : 11.

4 - المرجع السابق المجلد 2 ج 3 ص 88 .

5 - سورة طه : 5.

6 - سورة الأنعام : 18.

7 - سورة النحل : 50.

8 - سورة الرحمن: 27.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالمى

يأتيهم الله⁽¹⁾، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾⁽²⁾»⁽³⁾.
وقال الإمام الرازي في تقرير مذهب السلف: «حاصل هذا المذهب: أن هذه التشابهات يجب القطع فيها بأن مراد الله تعالى منها شيء غير ظواهرها، ثم يجب تفويض معناها إلى الله تعالى، ولا يجوز الخوض في تفسيرها، وقال جمهور المتكلمين: بل يجب الخوض في تأويل تلك التشابهات»⁽⁴⁾. واستدل ابن قدامة المقدسي في صدد بيان أن الصواب ما ذهب إليه السلف في صفات الله تعالى وأسمائه بمجموعة من الأدلة تفيد أن آيات الصفات من المتشابه منها قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾⁽⁵⁾. فإنه ذم مبتغى تأويل المتشابه وقرنه بمبتغى الفتنة والوقوف الصحيح عند أكثر أهل العلم عند إلا الله. ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا رأيتم الذين يتتغون ما تشابه منه فهم الذين عني الله فاحذروهم»⁽⁶⁾. وغيرها من الأدلة الكثيرة التي ذكرها⁽⁷⁾.
فهذه على سبيل المثال مجموعة من الأقوال تفيد بأن آيات الصفات من المتشابه. وفي المقابل نجد من يرفض أن تكون آيات الصفات من المتشابه بل هي من

1 - سورة البقرة: 210.

2 - سورة الفجر : 22.

3 - شرح جوهرة التوحيد للإمام إبراهيم الباجوري نسقه، وخرج أحاديث محمد أديب الكيلاني وعبد الكريم تاتان، راجعه وقدم له عبد الكريم الرفاعي ط 1392 هـ - دمشق. ص 155 فما بعد.

4 - أساس التقديس ص 236.

5 - سورة آل عمران: 7.

6 - رواه البخاري ومسلم - سبق تخريجه.

7 - ذم التأويل لابن قدامة المقدسي ص 567 و576 فما بعد. نسخة دار الكتب تحت عنوان مجاميع رقم 537 علم الكلام مصر طبعة كردستان العلمية سنة 1329 هـ.

المحكم الواضح الدلالة على معناه.

قال الإمام ابن تيمية في هذا الموضوع: «وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في التشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله، أو اعتقاد أن ذلك هو المتشابه الذي استأثر الله بعلم تأويله، كما يقول كل واحد من القولين طوائف من أصحابنا وغيرهم، فإنهم وإن أصابوا في كثير مما يقولونه ونجوا من بدع وقع فيها غيرهم، فالكلام على هذا من وجهين:

الأول: من قال إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه، فنقول أما الدليل على بطلان ذلك فإنني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره، أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية، ونفى أن يعلم أحد معناه، وجعلوا أسماء الله وصفاته بمنزلة الكلام الأعجمي الذي لا يفهم، ولا قالوا إن الله يترل كلاما لا يفهم أحد معناه وإنما قالوا كلمات لها معان صحيحة، قالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت، ونهوا عن تأويلات الجهمية... وتكلم أحمد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله، فهذا اتفاق بين الأئمة على أنهم يعلمون معنى المتشابه، وأنه لا يسكت عن بيانه وتفسيره بل يبين ويفسر باتفاق الأئمة، من غير تحريف له عن مواضعه، أو إلحاد في أسماء الله وآياته⁽¹⁾. وبعد ما قرر ابن تيمية بأن آيات الصفات ليست من المتشابه استدلل على ما ذهب إليه بأدلة كثيرة يطول ذكرها⁽²⁾. ومع هذا الذي ذكرناه عن ابن تيمية نجد صاحب تفسير المنار يحكي لنا عنه أن المتشابه آيات الصفات خاصة، ومثلها

1 - الإكليل في التشابه والتأويل ص 25-26.

2 - المرجع السابق ص 27 فما بعد.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالم

أحاديث الصفات⁽¹⁾، ولا شك أن هذا ليس رأي ابن تيمية في مسألة آيات الصفات والمتشابه، وكلامه في تفسير سورة الإخلاص خير شاهد على ذلك، فقد أفاض في الكلام عن المتشابه وأنه مما يعلم معناه.

فهذا هو الاتجاه الذي يرفض أن تكون آيات الصفات من المتشابه ويعتبر أن كل الآيات الواردة في شأن صفات الرب تعالى هي من مسائل أصول الدين وقد بينها النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه قبل وفاته وعرفوها وفهموا معناها.

وفي هذا قال ابن تيمية: «فكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم، فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا فكيف بأصول التوحيد والإيمان؟»⁽²⁾.

وبعد الحديث عن خلاف العلماء حول تحديد معنى المتشابه ثم تعيين المتشابه من النصوص وهل آيات الصفات ضمن المتشابه؟ ينتقل الحديث عن ناحية أخرى من المتشابه أكثر أهمية وهي حول إمكانية علم المتشابه.

البحث الرابع: هل المتشابه مما يمكن علمه؟

أ - المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله تعالى: هناك أمور عدت من المتشابه لم يقع حولها خلاف في أنه لا يعلم تأويلها إلا الله، كقيام الساعة وأحوال الآخرة، وكل ما اتفق على أنه لا دخل للعقل البشري في معرفته. ومن هذا القبيل آيات الصفات باعتبار معرفة كیفيتها. فحتى الذين رفضوا أن تكون آيات الصفات من المتشابه مثل الإمام ابن تيمية متفقون أن معرفة كيفية هذه الصفات من

1 - تفسير المنار لرشيد رضا ج 3 ص 137 - قال صاحب تفسير المنار: «عاشرها أن المتشابه آيات الصفات خاصة ومثلها أحاديثها ذكره ابن تيمية أيضا ويظهر أن صاحب المنار لم يذكره كقول لابن تيمية أو إنما يراد أن كيفية آيات الصفات من المتشابه، أو إنما ابن تيمية ذكره فقط ولا يشترط أن يقول به لأن هذا مخالف لما ذكره صاحب كتاب الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ص 59.

2 - تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، تعليق د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط1، بومباي، الدار السلفية 1406هـ - ص 226.

الأمر التي لا يعلمها إلا الله.

جاء عن الإمام ابن تيمية في هذا قوله: «وكذلك ما أخبر به الرب عن نفسه مثل استوائه على عرشه وسمعه وبصره وكلامه وغير ذلك، فإن كيفيات ذلك لا يعلمها إلا الله»⁽¹⁾.

ب - المتشابه الذي حدث خلاف حول معرفة تأويله: وأما المتشابه الذي وقع حوله خلاف شديد، فهو ما يتعلق بصفات الله تعالى أو متشابه الصفات كما يسميه البعض. فهل يعلم الراسخون في العلم تأويل المتشابه ومنه آيات الصفات أو لا يعلم تأويله إلا الله. فمن أجاز التأويل جعل الواو في قوله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾⁽²⁾ للعطف، وعطف (الراسخون) على (إلا الله) فيكون الراسخون ممن يعلمون تأويل المتشابه. وأما من منع التأويل فقد قال: إن الواو للاستئناف، و(الراسخون) مبتدأ خبره (يقولون)، وقد أوجب هذا الفريق الوقف عند قوله تعالى (إلا الله).

قال الإمام السيوطي: «اختلف هل المتشابه مما يمكن الاطلاع على علمه، أو لا يعلمه إلا الله على قولين، منشؤها الاختلاف في قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ هل هو معطوف و(يقولون) حال، أو مبتدأ خبره (يقولون) والواو للاستئناف؟»⁽³⁾.

وقال الإمام الألوسي في تفسيره: «على تقدير أن يكون الوقف على (الراسخون) وهو الذي ذهب إليه الشافعية، وسائر من فسر المتشابه ما لم يتضح معناه، وأما على تقدير أن يكون الوقف على (إلا الله) وهو الذي ذهب

1 - تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص 171.

2 - سورة آل عمران: 7.

3 - الإتيان مجلد 2 ج 3 ص 5-6.

إليه الخنفية، القائلون بأن المتشابه ما استأثر الله تعالى بعلمه»⁽¹⁾. ونورد فيما يلي أدلة الفريقين:

أولاً: أدلة القائلين بأن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه :

وأما القائلون بأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه فقد رجحوا كما بينا أن الواو في قوله تعالى: (والراسخون) للعطف، وأن قوله تعالى: «يقولون آمنا به» جملة حالية موضحة لحال الراسخين في العلم، كأنه قال: والراسخون في العلم قائلين آمنا به، والمعنى أنهم يقولون: علمنا وآمنا، لأن الإيمان قبل العلم محال، إذ لا يتصور مع الجهل وأيضاً لو لم يعلموا لم يكونوا من الراسخين في العلم، ولم يقع الفرق بينهم وبين الجهال.

وجاء عن ابن قتيبة في هذا: «ولو لم يكن للراسخين في العلم حظ في المتشابه إلا أن يقولوا: «آمنا به كل من عند ربنا»⁽²⁾ لم يكن للراسخين فضل على المتعلمين، بل على جهلة المسلمين، لأنهم جميعاً يقولون: «آمنا به كل من عند ربنا»⁽³⁾.

وقد تبين هذا الاتجاه طائفة يسيرة، منهم الإمام مجاهد، وهو رواية عن ابن عباس، والضحاك وابن قتيبة وابن تيمية قال السمعاني: لم يذهب إلى القول الأول إلا شذمة قليلة. ومما استدلوا به:

- لو كان المتشابه لا يعلم معناه أحد إلا الله لما علم الرسول صلى الله عليه وسلم معناه، ولكنه لا يسوغ لأحد أن يقول: إن الرسول لم يعلم معنى المتشابه، قال ابن قتيبة: «وهل يجوز لأحد أن يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم

1 - تفسير روح المعاني المجلد 2 ج3 ص 84 .

2 - سورة آل عمران: 7.

3 - تأويل مشكل القرآن ص 73.

لم يكن يعرف المتشابه، وإذا جاز أن يعرفه مع قول الله تعالى: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾⁽¹⁾ جاز أن يعرفه الربانيون من صحابته، فقد علم عليها التفسير ودعا لابن عباس فقال: (اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين)⁽²⁾»⁽³⁾.

- إنه يبعد أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، وكيف يصح ذلك وقد حض القرآن على تدبر آياته، وفقه معناه والتذكر به والتفكير فيه، ولم يستثن من ذلك شيئا، ونصوص القرآن عامة في ذلك بلا استثناء قال تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾⁽⁴⁾ وغيرها من الآيات الكثيرة. والحث على تدبر القرآن وفقه معناه يناقض بأن هناك آيات لا نفهم لها معنى، أو يجب الكف عن بيان معناها، أو تفويض معناها والعلم بها إلى الله تعالى.

والسلف قد تكلموا في جميع آيات الصفات، وفي نصوص القرآن، وفسروها بما يوافق معناها ودلالاتها، ولم يسكتوا عن بيان معنى آية ما، سواء في ذلك المحكم والمتشابه⁽⁵⁾. يقول ابن قتيبة في هذا المعنى: «ولسنا ممن يزعم أن المتشابه في القرآن لا يعلمه الراسخون في العلم وهذا غلط من متأوليهِ على اللغة والمعنى لم يترل الله شيئا من القرآن إلا لينفع عباده ويدل به على معنى أراد»⁽⁶⁾، وقال في موضع آخر: «فإننا لم نر المفسرين توقفوا عن شيء من القرآن فقالوا: هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، بل أمروه كله على التفسير، حتى فسروا "الحروف

1 - سورة آل عمران: 7.

2 - أخرجه أحمد في مسنده ج 1 ص 266.

3 - تأويل مشكل القرآن ص 72.

4 - محمد : 24 وانظر أساس التقديس ص 224 فقد ذكر آيات كثيرة في نفس المعنى.

5 - انظر الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ص 62-63.

6 - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص 72.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالم

المقطعة" في أوائل السور، مثل : الر، وحم، وطه، وأشباه ذلك»⁽¹⁾.

فأصحاب هذا الاتجاه يرفضون أن يكون في كتاب الله تعالى، ما لا سبيل لنا إلى العلم به، واختار هذا القول النووي، فقال في شرح صحيح مسلم: إنه الأصح لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، وقال ابن الحاجب: إنه الظاهر⁽²⁾

- ولو كان المتشابه لا يعلمه إلا الله فحينئذ لا فائدة من قيد الرسوخ بل هذا حكم العالمين كلهم.

- وكذلك لأن الكتاب لا ينحصر حينئذ في المحكم والمتشابه على ما هو مقتضى ظاهر العبارة حيث لم يقل -ومنه متشابهات- لأن ما لا يكون متضح المعنى ويهتدي العلماء إلى تأويله ورده إلى المحكم لا يكون محكما ولا متشابها بالمعنى المذكور وهو كثير جدا.

- أن المحكم حينئذ لا يكون -أم الكتاب- بمعنى رجوع المتشابه إليه إذ لا رجوع إليه فيما استأثر الله تعالى بعلمه كعدد الزبانية مثلا.

- ولأنه سبحانه وتعالى مدح الراسخين بالتذكر في هذا المقام وهو يشعر بأن لهم الحظ الأوفر من معرفة ذلك.

- لقد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس فقال: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» ولو كان التأويل مما لا يعلمه إلا الله تعالى لما كان للدعاء معنى⁽³⁾. ويشهد لهذا الاتجاه ما روي عن السلف من أقوال تؤيد أنهم كانوا يعرفون معنى المتشابه.

1 - المرجع السابق ص 73.

2 - الإتيان للسيوطي المجلد 2 ج 3 ص 6.

3 - انظر تفسير روح المعاني للألوسي المجلد 2 ج 3 ص 84.

- فقد أخرج ابن المنذر من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾⁽¹⁾، قال: أنا ممن يعلم تأويله.
 - وأخرج عبد بن حميد، عن مجاهد في قوله: ﴿والراسخون في العلم﴾⁽²⁾ قال: يعلمون تأويله ويقولون آمنا به.
 - وأخرج ابن أبي حاتم، عن الضحاك قال: «الراسخون في العلم يعلمون تأويله، ولو لم يعلموا تأويله لم يعلموا ناسخه من منسوخه، ولا حلاله من حرامه، ولا محكمه من متشابهه»⁽³⁾.
- هذا مجمل ما استدل به القائلون بجواز تأويل المتشابه. ونذكر فيما يلي أدلة المانعين لتأويل المتشابه:

ثانيا: أدلة القائلين بأن المتشابه لا يعلم تأويله إلا الله:

وقد وصف هذا الرأي بأنه قول الأكثرين قال السيوطي: «وأما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصا أهل السنة، فذهبوا إلى الثاني وهو أصح الروايات عن ابن عباس»⁽⁴⁾. وقال الإمام القرطبي في تفسيره عند الكلام على قوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ «فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع مما قبله، وأن الكلام تم عند قوله تعالى: ﴿إلا الله﴾ هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، وهو مذهب الكسائي والأخفش والفراء وأبي عبيد وغيرهم»⁽⁵⁾، وقال في موضع آخر وروى ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وعائشة⁽⁶⁾.

1 - سورة آل عمران : 7

2 - سورة آل عمران : 7

3 - الإتقان للسيوطي المجلد 2 ج 3 ص 6.

4 - المرجع نفسه.

5 - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج 4 ص 16.

6 - المرجع نفسه.

إذن مذهب أكثر العلماء أن الوقف التام إنما هو عند قوله تعالى ﴿إلا الله﴾ وأن ما بعده استئناف كلام آخر ومما استدلووا به على رأيهم هذا:

- إن الله ذم الذين يتبعون المتشابه، وقرن ابتغاء الفتنة بابتغاء تأويله، فلو كان طلب المتشابه جائزاً لما ذم الله تعالى على ذلك، فهذا يدل على أن طلب علم المتشابه مذموم⁽¹⁾.

- أن تأويل المتشابه قد يكون معلوماً وقد يكون مظنوناً، والقول في صفات السباري تعالى بالظن غير جائز، إذ ربما أولنا الآية على غير مراد الله فوقعنا في الزيف، ولذلك وجب أن نقول كما قال الراسخون في العلم ﴿كل من عند ربنا﴾ آمناً بظاهره، وصدقنا بباطنه، ووكلنا علمه إلى الله، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك إذ ليس من شرائط الإيمان وأركانه⁽²⁾.

- قوله تعالى: ﴿كل من عند ربنا﴾ إذ لو كانوا عالمين بالتفصيل لم يبق لهذا الكلام فائدة، فإن ظاهر قوله ﴿كل من عند ربنا﴾ مشعر بعجزهم عن إدراك تأويل المتشابه، وكلامهم هذا يدل على التسليم المحض لله تعالى⁽³⁾.

- التمسك بإجماع الصحابة - رضي الله عنهم - أن هذه التشابهات في القرآن والأخبار كثيرة، والدواعي إلى البحث عنها والوقوف على حقائقها متوفرة، فلو كان البحث عن تأويلها على سبيل التفصيل جائزاً، لكان أولى الخلق بذلك الصحابة - رضي الله عنهم - ولو فعلوا ذلك لاشتهر، ونقل بالتواتر، وحيث لم ينقل عن واحد من الصحابة والتابعين الخوض فيها، علمنا أن الخوض فيها غير جائز⁽⁴⁾. وغيرها من الأدلة الكثيرة.

1 - ذم التأويل لابن قدامة المقدسي ص 577.

2 - الملل والنحل للشهرستاني، على هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن خزم، ط2، بيروت، دار المعرفة 1395هـ، ج1 ص 138.

3 - أساس التقديس ص 238 - 239.

4 - أساس التقديس ص 238 - 239.

- ويشهد لهذا المذهب أخبار كثيرة أوردها الإمام السيوطي وغيره قال: «ويدل لصحة الأكثرين: ما أخرجه عبد الرازق في تفسيره، والحاكم في مستدركه، عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا به﴾ فهذا يدل على أن الواو للاستئناف، لأن هذه الرواية وإن لم تثبت بها القراءة، فأقل درجتها أن يكون خيرا بإسناد صحيح إلى ترجمان القرآن فيقدم كلامه في ذلك على من دونه»⁽¹⁾.

- ويؤيد ذلك أن الآية دلت على ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيف وابتغاء الفتنة... وحكى الفراء أن في قراءة أبي بن كعب أيضا «ويقول الراسخون»⁽²⁾.

- وأخرج ابن أبي داود في المصاحف من طريق الأعمش، قال في قراءة ابن مسعود «وإن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به»⁽³⁾.

- وأخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة، قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: «هو الذي أنزل عليك الكتاب» إلى قوله: «أولوا الألباب» قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذي سمى الله فاحذروهم»⁽⁴⁾.

- وأخرج الطبراني في الكبير عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذوه المؤمن يتغني تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله» الحديث⁽⁵⁾.

1 - انظر الإتيان جلد 2 ج 3 ص 6.

2 - معاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاي ومحمد على النجار الهيئة المصرية العامة للكتاب 1980م ج 1 ص 191.

3 - المصاحف لابن أبي داود ص 59 نسخة مصورة مؤسسة قرطبة المهرم بزيادة إن حقيقته تأويله....

4 - فتح الباري كتاب التفسير ج 8 ص 57 باب منه آيات محكمات.

5 - الطبراني في الكبير ج 3 ص 293 برقم 3442.

- وأخرج ابن مردويه، من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن القرآن لم يزل ليكذب بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فاعملوا، وما تشابه فآمنوا به»⁽¹⁾.
- وأخرج الحاكم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كان الكتاب الأول يزل من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر، وأمر وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال، فأحلوا حلاله، وحرّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا»⁽²⁾، وأخرج البيهقي في الشعب نحوه، من حديث أبي هريرة.
- وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس، مرفوعاً: أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال، وحرام، لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تفسره العرب وتفسيره العلماء، ومتشابه لا يعلمه إلا الله، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب. ثم أخرجه من وجه آخر عن ابن عباس موقوفاً نحوه.
- وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي، عن ابن عباس قال: «نؤمن بالمحكم، وندين به، ونؤمن بالمتشابه ولا ندين به، وهو من عند الله كله»⁽³⁾.
- وأخرج أيضاً عن عائشة قالت: «كان رسوخهم في العلم أن آمنوا بمتشابهه ولا يعلمونه»⁽⁴⁾.
- وأخرج أيضاً عن أبي الشعثاء وأبي هنيئ، قال: إنكم تصلون هذه الآية وهي مقطوعة.

1 - الدر المنثور للسيوطي ط دار المعرفة ج 2 ص 6 وابن الضريس في فضائل القرآن ط دار الفكر ص 149 رقم 315.

2 - مستدرک الحاكم ج 1 ص 553 وج 2 ص 289 وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وفيه انقطاع .

3 - الدر المنثور للسيوطي ج 3 ص 7.

4 - الدر المنثور للسيوطي ج 3 ص 6.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم..... أ. محفوظ سالم

- وأخرج الدارمي في مسنده، عن سليمان بن يسار، «قصة صبيغ مع عمر بن الخطاب الذي نهاه وزجره عن اتباع المتشابه»⁽¹⁾.
- فهذه الأحاديث والآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعمله إلا الله، وأن الخوض فيه مذموم⁽²⁾.
- هذا يحمل ما استدل به أصحاب هذا الرأي. ونود أن نذكر أن كل فريق قد ردّ على أدلة المخالف ولا يسعنا ذكر هذه الردود خشية الإطالة وإنما نقتصر على أبرزها.

ثالثاً: الردّ على أدلة الفريقين

- أ - الردّ على أدلة القائلين بجواز علم المتشابه : فمن أقوى ما استدل به القائلون بجواز تأويل المتشابه هو أنه يبعد أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته.
- وقد رد عن هذا «بأنه لا بعد في أن يخاطب الله تعالى عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته، ويكون ذلك من باب الابتلاء، كما ابتلى سبحانه عباده بتكاليف كثيرة وعبادات وفيرة لم يعرف أحد حقيقة السر فيها، والسر في هذا الابتلاء قص جناح العقل، وكسر سورة الفكر، وإذهاب عجب طاوس النفس، ليتوجه القلب بشرائش تجاه كعبة العبودية، ويخضع تحت سرادقات الربوبية، ويعترف بالقصور، ويقر بالعجز عن الوصول إلى ما في هاتيك القصور وفي ذلك غاية التربية ونهاية المصلحة»⁽³⁾، فالمتشابه هو موضع خضوع العقول لبارئها استسلاماً واعترافاً بقصورها.

1 - سنن الدارمي ج1 ص 54.

2 - وانظر مجموع هذه الآثار في الإتقان للسيوطي المجلد 2 ج 3 ص 6-8.

3 - تفسر روح المعاني للألويسي المجلد 2 ج 3 ص 86-87.

ب - الردّ على أدلة القائلين بعدم معرفة المتشابه : وفي المقابل فإن أكثر ما استدللّ به القائلون بعدم معرفة المتشابه تلك الأحاديث والآثار الواردة في ذم متبعي المتشابه كحديث عائشة «أولئك الذين سى الله فاحذروهم»، وقصة صبيغ مع عمر بن الخطاب. وقد رد عن هذا بمثل ما جاء عن ابن تيمية حيث قال: «قالوا: وأما الذم فإنما وقع على من يتبع المتشابه لابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، وهو حال أهل القصد الفاسد الذين يريدون القدح في القرآن فلا يطلبون إلا المتشابه لإفساد القلوب، وهي فتنها به، ويطلبون تأويله وليس طلبهم لتأويله لأجل العلم والاهتداء، بل لأجل الفتنة، وكذلك صبيغ بن عسل ضربه عمر، لأن قصده بالسؤال عن المتشابه كان لابتغاء الفتنة، وهذا كمن يورد أسئلة وإشكالات على كلام الغير، ويقول ماذا أريد بكذا وغرضه التشكيك والظعن فيه، ليس غرضه معرفة الحق، وهؤلاء هم الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه» ولهذا (يتبعون) أي يطلبون المتشابه ويقصدونه دون المحكم، مثل المتبع للشيء الذي يتحرره ويقصده، وهذا فعل من قصده الفتنة، وأما من سأل عن معنى المتشابه ليعرفه ويزيل ما عرض له من الشبه، وهو عالم بالمحكم متبع له، مؤمن بالمتشابه، لا يقصد فتنة، فهذا لم يذمه الله، وهكذا كان الصحابة يقولون رضي الله عنهم»⁽¹⁾.

هذا وبعد ذكر القولين مع أدلتهم لا بد أن نشير إلى قول ثالث في هذه المسألة اعتبره بعض العلماء قول المحققين، ويتمثل هذا المذهب في أن كلا من الوقف والوصل في الآية جائز ولكل منهما وجه وجيه.

1- تفسير سورة الإخلاص ص 188.

رابعاً: القول بجواز الوجهين:

من ذهب إلى هذا القول الراغب الأصفهاني حيث قال بعد ذكر ضرب التشابه: «وإذا عرفت هذه الجملة علم أن الوقف على قوله ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾⁽¹⁾ ووصله بقوله تعالى: ﴿والراسخون في العلم﴾ جائز وأن لكل واحد منهما وجهاً حسبما دل عليه التفصيل المتقدم»⁽²⁾.

وفي تفسير الآلوسي: «وقال بعض أئمة التحقيق: الحق أنه إن أريد بالمتشابه ما لا سبيل إليه، فالحق الوقف على (إلا الله) وإن أريد ما لا يتضح معناه بحيث يتناول الجمل ونحوه فالحق العطف، ويجوز الوقف أيضاً لأنه لا يعلم جميعه أو لا يعلمه بالكنه إلا الله تعالى، وأما إذا فسر بما دل القاطع أي النص النقلى أو الدليل الجازم العقلي على أن ظاهره غير مراد ولم يقم دليل على ما هو المراد، ففيه مذهبان فمنهم من يجوز الخوض فيه، وتأويله بما يرجع إلى الجادة في مثله فيجوز الوقف وعدمه، ومنهم من يمنع الخوض فيه فيمتنع تأويله ويجب الوقف عنده»⁽³⁾.

موقف الإمام ابن تيمية من تأويل المتشابه :

ومن كان لهم مثل هذا الرأي الإمام ابن تيمية الذي أطال الكلام في تفسير سورة الإخلاص عن معنى المتشابه، وأنه مما يعلم معناه وغير ذلك مما يتصل بالمحكم والمتشابه. ويتلخص رأيه في هذه المسألة جواز الوقف والوصل معاً، بمعرفة معنى التأويل الذي جاء في الآية فإن السلف كانوا يستعملون التأويل بمعنيين.

1- آل عمران: 7.

2- المفردات في غريب القرآن كتاب الشين ج 1 ص 336.

3- تفسير روح المعاني المجلد 2 ص 85-86.

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.....أ. محفوظ سالم

أحدهما: بمعنى التفسير والبيان، والآخر: بمعنى المآل والعاقبة، وقد استعمل القرآن التأويل بالمعنى الثاني في آية (آل عمران)، وهذه الآية ذكر في سبب نزولها مناسبة قدوم وفد نجران إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك اليهود الذين أرادوا أن يعرفوا مدة أكل هذه الأمة، فإن هؤلاء أو أولئك كانوا يريدون معرفة تأويل الآية ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فرد الله زعمهم بأنه لا يعلم تأويل ذلك إلا الله، فنفي علم تأويل القرآن عما سوى الله، ينص على أن المراد بتأويل ذلك معرفة حقائق القرآن وما أخبر به، فلا بد من الوقف على لفظ الجلالة.

ولما كان التأويل مستعملاً بين السلف بمعنى التفسير والبيان، قال بعضهم بالوقف على الراسخين في العلم، وهو يريد بالتأويل تفسير الآية وبيان معناها، وكلا الرأيين مصيب فيما ذهب إليه، لأن أصحاب القول بالوقف على لفظ الجلالة، يستبعدون أن يكون هناك بشر يشارك الله في علم غيبه.

وأصحاب القول بالوقف على (الراسخون في العلم) يستبعدون أن يكون تفسير القرآن وبيان معناه، لا يعلمه إلا الله، في الوقت الذي أنزل القرآن ليفهم ويتدبر.

وعلى هذا فإن جميع الأقوال التي رويت على أن الوقف على لفظ الجلالة محمولة على أن المراد بالتأويل في الآية عواقب أخبار القرآن ومصائرهما، وجميع ما روي على أن الوقف على (الراسخون في العلم) محمول على أن التأويل المذكور هو التفسير والبيان. وبهذا يزول الإشكال والاشتباه الذي نشأ بين المتأخرين لعدم تفرقتهم بين معنى الآية وبين تأويلها.

ويرى ابن تيمية أن الصواب في آية آل عمران أن نجعل الواو للعطف من قبيل عطف المفرد على المفرد، ويكون الراسخون في العلم يعلمون معنى المتشابه من القرآن، ومن جعل الواو للاستئناف ووقف على لفظ الجلالة، فهذا جائز أيضاً،

ويكون التأويل المنفي علمه عن الراسخين غير التأويل الذي يعلمونه. أما من جعل التأويل بمعنى التفسير والبيان ووقف على لفظ الجلالة، فهذا غير جائز، بل هذا خطأ قطعاً، لأنه ما من قول يدعي أن هذه الآية أو تلك من المتشابه الذي لا يعلم معناه إلا الله، إلا وقد تكلم السلف في بيان معناها، والمتأخرون أنفسهم لم يكفوا عن آية ما، لأنها متشابهة لا يعلم معناها إلا الله⁽¹⁾.

ويؤيد ما ذكرناه عن ابن تيمية ما جاء عنه في تفسير سورة الإخلاص قال في جوابه عن سؤال حول معرفة المتشابه: «أحدهما أن يكون في الآية قراءتان قراءة من يقف على قوله «إلا الله» وقراءة من يقف عند قوله «والراسخون في العلم» وكلتا القراءتين حق، ويراد بالأولى المتشابه في نفسه الذي استأثر الله بعلم تأويله، ويراد بالثانية المتشابه الإضافي الذي يعرف الراسخون تفسيره وهو تأويله»⁽²⁾. وقال في موضع آخر: «إن الصواب قول من يجعله معطوفاً، ويجعل الواو لعطف مفرد على مفرد، أو يكون كلا القولين حقاً، وهي قراءتان، والتأويل المنفي غير التأويل المثبت... فأما من جعل الصواب قول من جعل الوقف عند قوله «إلا الله» وجعل التأويل بمعنى التفسير، فهذا خطأ قطعاً»⁽³⁾.

ونزيد موقف ابن تيمية وضوحاً من تأويل المتشابه بذكر ما جاء عنه في أخبار الصفات الإلهية حيث قال: «إن العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه، فالكيف هو التأويل الذي لا يعمل به إلا الله، وأما نفس المعنى الذي بينه الله فيعلمه الناس كل على قدر فهمه، فإنهم يفهمون معنى السمع، ومعنى البصر، وأن مفهوم هذا ليس هو مفهوم هذا، ويعرفون الفرق بينهما، وبين العليم

1 ينظر، الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ص 147.

2 تفسير سورة الإخلاص ص 178.

3 المرجع السابق ص 192.

والقدير، وإن كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره، بل الروح التي فيهم يعرفونها من حيث الجملة ولا يعرفون كيفيتها، كذلك يعلمون معنى الاستواء على العرش، وأنه يتضمن علو الرب على عرشه، وارتفاعه عليه...»⁽¹⁾.

فابن تيمية يذهب إلى التفصيل بين علم تأويل المتشابه الذي هو تفسيره، وبين التأويل الذي هو الحقيقة الموجودة في الخارج، فالأول يجعل إدراكه ممكناً، بينما الثاني هو الذي لا يعلمه إلا الله، ويزيدنا توضيحاً عندما يتحدث عن الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير، وبين التأويل الذي جاء في كتاب الله تعالى، والمراد به الحقيقة الموجودة في الخارج، حيث قال في هذا الصدد: «فإن قيل: هذا يقدر فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذي يراد به التفسير، وبين التأويل الذي في كتاب الله تعالى. قيل: لا يقدر في ذلك، فإن معرفة تفسير اللفظ ومعناه وتصور ذلك في القلب، غير معرفة الحقيقة الموجودة في الخارج المرادة بذلك الكلام، فإن الشيء له وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البيان، فالكلام لفظ له معنى في القلب، ويكتب ذلك اللفظ بالخط، فإذا عرف الكلام وتصور معناه في القلب، وعبر عنه باللسان، فهذا غير الحقيقة الموجودة في الخارج، وليس كل من عرف الأول، عرف عين الثاني»⁽²⁾.

وعلى هذا الفهم بني رحمه الله موقفه في آيات الصفات فعدّها محكمة من حيث تفسير اللفظ ومتشابهة من جهة نفي العلم بالكيف.

هذا هو موقف ابن تيمية من تأويل المتشابه وقد أطننا في بيانه لأنه هو نفسه قد أسهب في الكلام عن المتشابه ومعرفته ولأن رأيه يعتبر مميزاً في هذه المسألة.

1 تفسير سورة الإخلاص ص 172.

2 المرجع السابق ص 211.

خامسا : الحكمة من وجود المتشابه في القرآن الكريم :

وقد يقال ما الحكمة في إنزال المولى تبارك وتعالى لهذه الآيات المتشابهات مع أنه سبحانه وتعالى لا يريد لعباده إلا الهدى والبيان والرشاد؟ وفي الجواب على مثل هذا السؤال ذكر العلماء أوجها كثيرة نذكر بعضها.

إن كان المتشابه مما يمكن علمه فله فوائد منها :

1 - الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه، والبحث عن دقائقه، فإن استدعاء الهمم لمعرفة ذلك من أعظم القرب⁽¹⁾.

2- إن بحث دقائق المتشابه ومحاولة الوصول إلى فهم مراميهِ وأبعاده، تقتضي معاناة ومزيد مشقة، ومعلوم أن زيادة المشقة في الوصول إلى إدراك المراد توجب مزيدا من الثواب⁽²⁾.

3 - ومنها ظهور التفاضل، وتفاوت الدرجات، إذ لو كان القرآن كله محكما لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق، ولم يظهر فضل العالم على غيره. وفي هذا قال ابن قتيبة: «إن القرآن نزل بألفاظ العرب ومعانيها، ومذاهبها في الإيجاز والاختصار، والإطالة والتوكيد، والإشارة إلى الشيء وإغماض بعض المعاني حتى لا يظهر عليه إلا اللقن، وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي. ولو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفاً حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر... وكل باب من أبواب العلم... فمنه ما يجلب ومنه ما يدق، ليرتقي المتعلم فيه رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه، ولتكون للعالم فضيلة النظر، وحسن الاستخراج، ولتقع المثوبة من الله على حسن العناية. ولو كان كل فن من العلوم شيئا واحدا

1 الإتيان للسيوطي المجلد 2 ج3 ص 35.

2 أساس التقديس ص 248.

لم يكن عالم ولا متعلم، ولا خفي ولا جلي، لأن فضائل الأشياء تعرف بأضدادها...»⁽¹⁾. وإن كان المتشابه مما لا يمكن علمه فله فوائد :

منها: ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتوقف فيه، والتفويض والتسليم والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة كالمنسوخ، وإن لم يجر العمل بما فيه وإقامة الحجة عليهم لأنه لما نزل بلسانهم ولغتهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم دل على أنه نزل من عند الله، وأنه الذي أعجزهم عن الوقوف على معناه⁽²⁾.

1 تأويل مشكل القرآن ص 62.

2 الإتيان للسيوطي المجلد 2 ج 3 ص 35-36.

- المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- 1- الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم؛ القاهرة: الهيئة العامة للكتاب 1975م
- 2- أساس التقديس لفخر الدين الرازي ت (606هـ) تحقيق د. أحمد حجازي السقا؛ القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية 1406هـ - 1986م.
- 3- أصول الدين لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ت (429هـ) الطبعة الثالثة؛ بيروت لبنان: دار الكتب العلمية 1401هـ - 1981م.
- 4- الإكليل في المتشابه والتأويل لشيخ الإسلام ابن تيمية الطبعة الأولى؛ القاهرة: نشره قصر محب الدين الخطيب المطبعة السلفية ومكتبتها 1394هـ.
- 5- الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، د. محمد السيد الجلند، الطبعة الثالثة؛ جدة: مكتبات عكاظ 1403هـ - 1983م.
- 6- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه.
- 7- تفسير المنار للسيد رشيد رضا؛ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 1973م
- 8- تفسير سورة الإخلاص لتقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (661-728هـ) راجع نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد العلي عبدالحamid حامد، الطبعة الأولى؛ بومباي الهند: الدار السلفية 1406هـ - 1986م.
- 9- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، بتصحيح أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، الطبعة الثالثة؛ دار الكتب المصرية، دار الكتاب العربي 1378هـ - 1967م.
- 10- الدر المنثور للإمام السيوطي، ط، دار المعرفة.

المحكم والمنشأبه فف القرآن الكرلم.....أ. مءفوف سالمف

- 11- روف المعافف فف ففسفر القرآن العظفم والسفع المأفف للألوسف؁ الطبعه الرابعه؛ بفروف : دار إءفاء التراث العربف 1405 هـ.
- 9- شرح الأصول الخمسه للقاضف عبء الجبار الهمذانف فءقفق عبء الكرلم عثمان الطبعه الأولى؛ القاهره: مكئبه وهبه 1384 هـ.
- 10- المفرداء فف غرب القرآن للراغب الأصفهاف؁ لأف القاسم الحسن بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاف. فءقفق وإعداد مركز الدراسات والبءوف. بمكئبه مصطفف الباز. الطبعه الأولى؛ المملكة العربفة السعوففة نشر مكئبه نزار مصطفف الباز 1418 هـ - 1997 م.
- 11- الملل والنحل للشهرسئافف على هامش الفصل فف الملل والأهواء والنحل لابن ءزم؁ الطبعه الأئافه ؛ بفروف : دار المعرفة 1395 هـ.
- 12- الموافقاء للإمام الشاطفف بفعلق عبء الله دراز؁ مصر: المكئبه الفءارفه الكبرف.